سبُّ الصحابة هدم للملة

فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله البريك ۞

مُقدِّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ليس من المؤمنين بعد الأنبياء والمرسلين أحق بالثناء والمحبة من أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، الذين بذلوا الأموال والمهج لرفع راية لا إله إلا الله. فهم أحق الناس بكلمة التقوى وأهلها كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقد أثنى الله عليهم فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال في سورة الفتح أيضاً: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

ومن رضي الله عنه لن يسخط عليه أبداً ولا يمكن موته على الكفر.

۞ داعية إسلامي، خطيب وإمام مسجد بالرياض، له عدد من المحاضرات والندوات، زار عدداً كبيراً من دول العالم الإسلامي وأوروبا في الدعوة إلى الله، وله مشاركات في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال محمد بن زياد: قلت يوماً لمحمد بن كعب القرظي ﷺ: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم ؟ وأردت الفتن. فقال: إن الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم، وأوجب لهم الجنة في كتابه، فقلت له: في أي موضع أوجب لهم ؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ إلى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي ﷺ. وقال: وشَرَطَ في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة. قال حميد: فكأني لم أقرأ هذه الآية قط.[1]

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [الفتح: ١١٧].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٣] . ولا خلاف أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه ﷺ وقعة أحد، أجابوا في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش.

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ

[1] الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (٣٣/١).

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠]. فالذين أخرجوا من ديارهم هم المهاجرون، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ هم الأنصار.

قال القرطبي: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم.[١]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير ؟ قال: « **قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته** ».[٢]

وقد أخبر ﷺ أن المدَّ من أحدهم أفضل من مثل جبل أحد ذهباً ممَّن بعدهم. عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **لا تسبّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه** ».[٣]

وعن أبي بريدة عن أبيه ﷺ قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ... الحديث، ثم قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ممَّا يرفع رأسه إلى السماء فقال: « **النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** ».[٤]

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن الله ﷻ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ونقل دينه.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥١١/٨).

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٥١) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم. ومسلم (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

[٣] أخرجه البخاري (٣٦٧٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٥٤١) في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة.

[٤] أخرجه مسلم (٢٥٣١) في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة.

الفصل الأول:

تعريف الصحابي ؟

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً بـه، ومـات عـلى الإسـلام سواء طـالت مجالسته للنبي ﷺ أو قصرت، ومن روى عنه أو لَم يروِ، ومن لَمْ يرَه لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إذا لَمْ يجتمع به مرة أخرى.

وخرج بقولنا: « ومات على الإسلام » من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردّته.

قال البخاري في صحيحه: ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.[1]

المبحث الأول:

الصحابة كلهم عدول:

لأنهـم هـم المـخـاطبون بـقـوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] فهم أول وأفضل وأحق من يدخل في هذا الخطاب.

ومن نظر في سيرتهم وتأمل أحوالهم وما جاء من النصوص بشأنهم وما هم عليه من الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين.

قال ابن حجر رحمه الله: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجـبت الـحال الـتي كـانوا عليها، من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على تعديلهم.[2]

---

[1] فتح الباري (٣/٧).

[2] الإصابة للعسقلاني (١٠ ـ ٩١١).

المبحث الثاني:

أفضل الصحابة:

أفضلهم الخلفاء الراشدون.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكرٍ أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ **لا نفاضل بينهم** ».[١]

وفي رواية: « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكرٍ، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ ».[٢]

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي علي بن أبي طالب ﷺ: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت ؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.[٣]

عن سعيد بن جمهان قال: حدثني سفينة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك** ». ثم قال لي سفينة: أمسك، خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة.[٤]

١ ـ فأفضلهم أبو بكر الصديق ﷺ. وممَّا ورد في مناقبه وفضله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أمنَّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر ».[٥]

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ قال: أتت النبي ﷺ امرأة فكلمته في

---

[١] أخرجه البخاري (٣٦٩٨) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ.

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٥٥) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر ﷺ بعد النبي ﷺ.

[٣] أخرجه البخاري (٣٦٧١) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً".

[٤] أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٥] أخرجه البخاري (٤٦٧) في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد.

شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تريد الموت، قال: « **إن لم تجديني فأتي أبا بكر** ».[١]

٢ ـ أما عمر ﷺ فممَّا ورد في فضله ومناقبه:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب** ».[٢]

وعن عمر ﷺ قال: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت هذه الآية.[٣]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه** ».[٤]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وُضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو عليٌّ، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: « **جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** » فإن كنت لأرجو، أو لأظن،

---

[١] أخرجه البخاري (٧٢٢٠) في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف. ومسلم (٢٣٨٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ.

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٤٩) في كتاب أحاديث الأنبياء. ومسلم (٢٣٩٨) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ.

[٣] أخرجه البخاري (٤٠٢) في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم يرَ الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة. ومسلم (٢٣٩٩) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ. مختصراً

[٤] أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

أن يجعلك الله معهما.[١]

٣ ـ أما القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، عثمان بن عفان ﷺ. فممَّا ورد في مناقبه:

قول النبي ﷺ: « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** ».[٢]

وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجل متقنع رأسه فقال رسول الله ﷺ: « **هذا يومئذ على الهدى** »، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت: هذا ؟ قال: « **هذا** ».[٣]

عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمّه حين جهز جيش العسرة، فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: « **ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم** » مرتين.[٤]

٤ ـ أما علي بن أبي طالب ﷺ ليث بني غالب، أبو تراب الأواه الأواب. فممَّا ورد في مناقبه:

عن زر بن حبيش قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.[٥]

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: « **لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه** ». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها، فلمَّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: « **أين علي بن أبي طالب ؟** » فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: « **فأرسلوا إليه فأتوني به** ». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... إلى أن قال: « **فوالله لأن**

---

[١] أخرجه البخاري (٣٦٧٧) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : "لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٣٨٩) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ.

[٢] أخرجه مسلم (٢٤٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ.

[٣] أخرجه ابن ماجه (١١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

[٤] أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٥] أخرجه مسلم (٧٨) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته.

يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم».[١]

قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن حمزة: صف لي علياً. فقال: أو تعفيني ؟ قال: بل تصفه. فقال: أو تعفيني ؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إن لابدّ فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه تعظيماً له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا ألي تعرضت أم لي تشوفت؟ هيهات غري غيري، قد بتتك ثلاثاً فلا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء. ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترفأ عبرتها ولا يسكن حزنها.[٢]

وبعد الراشدين الأربعة يأتي بقية العشرة ثم أهل بدر وأهل الشجرة ثم عامة الصحابة ممَّن أسلموا قبل الفتح وقاتلوا ثم من أسلموا بعد الفتح وقاتلوا.

وبالجملة نتقرب إلى الله بحبهم، ومن له قرابة لرسول الله ﷺ فمحبته أكثر للقرابة والمنزلة دون طعن أو نقص في بقية أصحابه.

وإذا أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع.

---

[١] أخرجه البخاري (٣٧٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ. ومسلم (٢٤٠٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

[٢] التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٤٢، ٤٤٥).

ويكفي لبيان فضلهم أن الله ﷻ جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ،** ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. **فذلك قوله جلَّ ذكره:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ».[1] والوسط : العدل.

بعد هذا الثناء والتزكية من الله ورسوله للصحابة ﷺ، هل يعقل أن يسبهم أحد؟.

قيل لليهود: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل لبعض من ينتسبون إلى الإسلام: من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب مُحمَّد ﷺ، ولَمْ يستثنوا منهم إلا القليل.

إن سبَّ الصديق طعن في اختيار الله ﷻ له صاحباً وصديقاً لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

فالله تعالى جعل جسده بجوار الجسد الشريف حتى تتم الصحبة كذلك في البرزخ.

وسبُّه طعن وتكذيب لقول النبي ﷺ: « **لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أخي وصاحبي** ».[2]

من الكفر من يعتقد أن الله أقرَّ الظالمين ومكَّن الكافرين من دينه وشرعه وكتابه الذي تكفل سبحانه وتعالى بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

---

[1] أخرجه البخاري (٤٤٨٧) في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

[2] أخرجه البخاري (٣٦٥٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٣٨٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ.

ومن الكفر الاعتقاد بأن الله أثنى ومدح شرار الخلق وجعل سفلة الناس خير أمة أخرجت للناس، وأظلم الناس أصحاب وأحباب خير البشر.

أليس من الضلال والكفر الزعم بأن الرسول ﷺ تزوج بنات المنافقين والكافرين وأن عائشة وحفصة رضي الله عنهما ظلتا في عصمته مع كفرهما حتى مات الرسول ﷺ في حُجرة عائشة رضي الله عنها على صدرها بين سَحْرها ونَحرها، كل هذا وهي وأبوها كافرين منافقين.

أين هم من رسول الله ﷺ الذي غضب لغضب أبي بكر حتى جثا أبو بكر على ركبتيه وقال: أنا كنت أظلم يا رسول الله، ومع ذلك قال ﷺ: « **هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟** ».[1]

إن تكفير الصحابة ﷺ هدم للإسلام كله، وإبطال لشريعته لأن الصحابة ﷺ هم الذين نقلوا لنا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ولم يكتفِ البعض بذلك، بل طعنوا في كتاب الله: يشككون في صحته ويسودون المطولات في إثبات تحريفه، وبلغت بهم الجرأة أن وضع أحدهم كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

بعض ما ورد في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما:

عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر** ».[2]

وقال ﷺ: « **سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر** ».[3]

قال العلماء فيه إشارة إلى خلافة الصديق ﷺ، لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: « **ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا**

---

[1] أخرجه البخاري (٤٦٤٠) في كتاب التفسير، باب ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

[2] أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[3] أخرجه البخاري (٤٦٧) في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد. وهو جزء من حديث.

أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ».[١]

بل ورد ما هو أصرح من ذلك، فقد روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة في مرضه الذي مات فيه: « **ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد بعدي** »، ثم قال: « **دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر** ».[٢]

الفصل الثاني:

حكم سبِّ الصحابة ﷺ ؟

ينقسم سبُّ الصحابة إلى أنواع، ولكل نوع من السبِّ حكم خاص به.

والسبُّ: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السبِّ بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوهما.[٣]

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمنه سبٌّ بالكفر أو الفسق، ومنه سبٌّ بأمور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي.

وهذا السبُّ إمَّا أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما أن يكون ممَّن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك. وهذه تفاصيل وبيان أحكام كل قسم.

المبحث الأول:

من سبَّ الصحابة بالكفر والردة أو الفسق، جميعهم أو بعضهم:

لا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

- **إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق**، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.
- إن في هذا **تكذيباً لما نص عليه القرآن** من الرضا عنهم والثناء عليهم « فالعلم

---

[١] أخرجه البخاري (٥٦٦٦) في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع. ومسلم (٢٣٨٧) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ.

[٢] انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله تعالى (٦٩٠).

[٣] الصارم المسلول (٥٦١).

الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي ».[١] ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

ـ **إن في ذلك إيذاء له** ﷺ، لأنهم أصحابه وخاصته، وسبُّ خاصته والطعن فيهم، يؤذيه ولا شك. وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حكم هذا القسم: « وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه مكذب لما نصَّ القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين.. إلى أن قال: وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ».[٢]

وقال الهيثمي رحمه الله: « ثم الكلام ـ أي الخلاف ـ إنما هو في سبِّ بعضهم، أما سبُّ جميعهم فلا شك في أنه كفر ».[٣]

ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة، ذكر بعض العلماء أدلة أخرى تفصيلية، منها:

أولاً: قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة، لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره.[٤]

ثانياً: ثبت من حديث أنس رضي الله عنه عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: « **آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار** »[٥]، وفي رواية: « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق** ».[٦] ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله**

---

[١] الرد على الرافضة (ص١٩).

[٢] الصارم المسلول (٥٨٦ ـ ٥٨٧).

[٣] الصواعق المحرقة (٣٧٩).

[٤] الصواعق المحرقة (ص٣١٧)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٤).

[٥] أخرجه البخاري (١٧) في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار. ومسلم (٧٤) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته.

[٦] مسلم (٧٥) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته.

واليوم الآخر »[١]، فمن سبَّهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر.[٢]

ثالثاً: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أنه ضرب بالدرة من فَضَّله على أبي بكر ﷺ، ثم قال عمر ﷺ: « أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا »، ثم قال: « من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري ».[٣]

وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: « لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري ».[٤]

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل علياً ﷺ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو يفضل عمرَ ﷺ على أبي بكر ﷺ، مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سبٌّ ولا عيب، علم أن عقوبة السبِّ عندهما فوق هذا بكثير.[٥]

المبحث الثاني: من سبَّ بعضهم سبّاً يطعن في دينهم:

كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق، وكانوا ممن تواترت النصوص بفضله، فذلك كفر على الصحيح، لأن في هذا تكذيباً لأمر متواتر.

روى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون، قال: « من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أنهم كانوا على ضلال وكفر، قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد ».[٦]

وقال هشام بن عمار: « سمعت مالكاً يقول: من سبَّ أبا بكر وعمر، قتل، ومن سبَّ عائشة رضي الله عنها قتل، لأن الله تعالى يقول فيها: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] فمن رماها فقد خالف القرآن،

---

[١] مسلم (٧٦) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته.

[٢] الصارم المسلول (ص٥٨١).

[٣] فضائل الصحابة للإمام أحمد (١ / ٣٠٠)، وصححه ابن تيمية في الصارم (ص٥٨٥).

[٤] فضائل الصحابة (١ / ٨٣). والسنة لابن أبي عاصم (٢ / ٥٧٥)، وحسن الألباني إسناده.

[٥] الصارم المسلول (ص ٥٨٦).

[٦] الشفا للقاضي عياض (٢/ ١١٠٩).

ومـن خـالف القرآن قتل ».[١]

قال الهيثمي عند كلامه عن حكم سبِّ أبي بكر ﷺ: « فيتلخص أن سبَّ أبي بكر ﷺ كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد، فليس بكفر. نعم قد يخرج عنه ما مرَّ عنه في الخوارج أنه كفر، فتكون المسألة عنده على حالين: إن اقتصر على السبِّ من غير تكفير لم يكفره وإلا كفره ».[٢]

وقال أيضاً: « وأما تكفير أبي بكر ﷺ ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي، والذي أراه الكفر فيها قطعاً ».[٣]

وقال الخرشي: « من رمى عائشة بما برأها الله منه... أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفَّر الأربعة، أو واحداً منهم، كفر ».[٤]

وقال البغدادي: « وقالوا بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة. وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ، وأكفروا من أكفرهن، أو أكفر بعضهن ».[٥]

والمسألة فيها خلاف مشهور، ولعل الـراجح ما تقدم، وأما القائلون بعدم تكفير من هذه حـاله، فقد أجمعوا على أنه فاسق، لارتكابه كبيرة مـن كبائر الذنوب، يستحق عليه التعزير والتأديب، على حسب منزلة الصحابي ونوعية السبِّ.

وهذا بيان ذلك:

قـال الهيثمي: « أجـمع القـائلون بـعدم تكفير من سبَّ الصحابة على أنهم فساق ».[٦]

وقال ابن تيمية: « قال إبراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر، وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال

---

[١] الصواعق المحرقة (ص٣٨٤).

[٢] الصواعق (٣٨٦).

[٣] الصواعق (٣٨٥).

[٤] الخرشي على مختصر خليل (٨ / ٧٤).

[٥] الفرق بين الفرق (ص ٣٦٠).

[٦] الصواعق المحرقة (ص٣٨٣).

الله تعالى فيها: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١]. وإذا كان شتمهم بهذه المثابة، فأقل ما فيه التعزير، لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد أو كفارة. وهذا مما لا نعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم... وعقوبة من أساء فيهم القول ».[١]

وقال القاضي عياض: « وسبُّ أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزَّر ولا يقتل ».[٢]

وقال عبد الملك بن حبيب: « من غلا في بغض عثمان والبراء منه أدب أدباً شديداً، وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ».[٣]

فلا يقتصر في سابِّ أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في غيره، لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام، لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك، كان كل واحدة من هذه الأمور تقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه.[٤]

وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها، بل يجب عليه فعل ذلك.

قال الإمام أحمد رحمه الله: « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع ».[٥]

ولما كان سبُّهم المذكور من كبائر الذنوب عند بعض العلماء فحكم فاعله

---

[١] اللالكائي (٨ / ١٢٦٢ ـ ١٢٦٦).

[٢] مسلم بشرح النووي (١٦ / ٩٣).

[٣] الشفا (٢ / ١١٠٨).

[٤] الصواعق المحرقة (٣٨٧).

[٥] طبقات الحنابلة (١ /٢٤)، والصارم المسلول (٥٦٨).

حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مبيناً حكم استحلال سبِّ الصحابة: « ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء، فإن اعتقد أحقية سبِّه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر، وإن سبَّه من غير اعتقاد أحقية سبِّه أو إباحته فقد فسق، لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم البعض فيمن سبَّ الشيخين بالكفر مطلقاً، والله أعلم ».[1]

وقال القاضي أبو يعلى تعليقاً على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عن شتم الصحابة، فقال: « ما أراه على الإسلام »، قال أبو يعلى: « فيحتمل أن يحمل قوله: ما أراه على الإسلام، إذا استحل سبَّهم، فإنه يكفر بلا خلاف، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده تحريمه، كمن يأتي بالمعاصي... ».[2]

يتلخص مما سبق فيمن سبَّ بعضهم سبّاً يطعن في دينه وعدالته، وكان ممن تواترت النصوص بفضله، أنه يكفر ـ على الراجح ـ لتكذيبه أمراً متواتراً.

أما من لم يكفره من العلماء، فأجمعوا على أنه من أهل الكبائر، ويستحق التعزير والتأديب، ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه، ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي. ولا يكفر عندهم إلا إذا استحل السبَّ.

أما من زاد على الاستحلال، كأن يتعبد الله ﷻ بالسبِّ والشتم، فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه، ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك.

المبحث الثالث:

١ ـ من سبَّ صحابياً لم يتواتر النقل بفضله:

بيّنا فيما سبق رجحان تكفير من سبَّ صحابياً تواترت النصوص بفضله من جهة دينه، أما من لم تتواتر النصوص بفضله، فقول جمهور العلماء بعدم كفر من سبَّه، وذلك لعدم إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة، إلا أن يسبَّه من حيث الصحبة.

---

[1] الرد على الرافضة (ص١٩).

[2] الصارم المسلول (ص ٥٧١ وما قبلها).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: « وإن كان ممن لم يتواتر النقل بفضله وكماله، فالظاهر أن سابَّه فاسق، إلا أن يسبَّه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر ».[١]

٢ ـ سب بعضهم سباً لا يطعن في دينهم وعدالتهم:

فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأما إن سبَّهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء ».[٢]

وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك اتهامهم، كقلة المعرفة بالسياسة.[٣]

ويشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية، والغفلة، وحب الدنيا، ونحو ذلك.

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات التي من هذا النوع.

٣ ـ وقفة مع المنهج الموضوعي:

ولعل من المناسب هنا أن نقف وقفة قصيرة جداً، نبين فيها فساد هذا المنهج، وخطورة تطبيقه على تاريخ الصحابة.

والمنهج الموضوعي، عند الغربيين يعني أن يبحث الموضوع بحثاً عقلياً مجرداً، بعيداً عن التصورات الدينية.[٤]

فنقول رداً على ذلك:

أولاً: المسلم لا يمكن أن يتجرد من عقيدته بأي حال من الأحوال، إلا أن يكون

---

[١] الرد على الرافضة (ص١٩).

[٢] الصارم المسلول (ص ٥٨٦).

[٣] الصارم المسلول (ص ٥٧١).

[٤] منهج كتابة التاريخ للعلياني (ص ١٣٨).

كافراً بها.

ثانياً: كذلك بالنسبة للتاريخ الإسلامي، إذا ثبتت الحوادث في ميزان نقد الرواية، فبأي منهج نفهمها ونفسرها ؟ إذا لم نفسرها بالمنهج الإسلامي، فلا بد أن نختار منهجاً آخر. فنقع في الانحراف من حيث لا نعلم.

وبناءً على ذلك، يجب أن نحذر من تطبيق هذا المنهج على تاريخ الصحابة. ويجب أن نعلم أيضاً أن ما يسمى بالنقد العلمي أو الموضوعية لتاريخ الصحابة، هو السبُّ الوارد في كتب أهل البدع، وفي كتب الأخبار، وتسميته بالمنهج العلمي لا يخرجه من حقيقته التي عرف بها عند أهل السنة، وأيضاً تسميته بذلك لا تعلي من قيمته، كما لا يعلي من قيمته أن يردده كتاب مشهورون.

وإنما كل ما فعله المحْدِثون أنهم أحيوا هذا السبّ الذي أماته أهل السنة عندما كانت الدولة دولتهم.

المبحث الرابع: حكم سبِّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

من سبَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، فقد أجمع العلماء على أنه يكفر.

قال القاضي أبو يعلى: « من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف ».

وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد من الأئمة.

فروي عن مالك: من سبَّ عائشة قتل. قيل له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن.[1]

قال ابن شعبان في روايته عن مالك: « لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] فمن عاد فقد كفر ».[2]

والأدلة على كفر من رمى أم المؤمنين صريحة وظاهرة الدلالة، منها:

أولاً: ما استدل به الإمام مالك، أن في هذا تكذيباً للقرآن الذي شهد ببراءتها،

---

[1] الصارم المسلول (ص ٥٦٦).

[2] الشفا (٢ / ١١٠٩).

وتكذيب ما جاء به القرآن كفر. قال ابن كثير: « وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبَّها بعد هذا ورماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه يكفر، لأنه معاند للقرآن ».[١]

وقال ابن حزم تعليقاً على قول الإمام مالك السابق: « قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها ».[٢]

ثانياً: أن فيه إيذاء وتنقيصاً لرسول الله ﷺ، من عدة وجوه، دلّ عليها القرآن الكريم، فمن ذلك:

أن ابن عباس رضي الله عنهما فرّق بين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: ٤]، وبين قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣]، فقال عند تفسير الآية الثانية: « هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة، وهي مبهمة ليس فيها توبة ».[٣]

وبيّن ﷺ أن هذه الآية إنما نزلت فيمن قذف عائشة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه، فإن قذف المرأة أذى لزوجها، كما هو أذى لابنها، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه، وإنَّ زنا امرأته يؤذيه أذىً عظيماً ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والخزي بقذف أهله أعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف.[٤]

وكذلك فإيذاء رسول الله ﷺ كفر بالإجماع.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [النور: ١٧]، « يعني في عائشة، لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي ﷺ، لما في ذلك من أذاة رسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله ».[٥]

---

[١] تفسير ابن كثير (٣ / ٢٧٦).

[٢] المحلى (١١ / ١٥).

[٣] انظر ابن جرير (١٨ / ٨٣)، وعنه ابن كثير (٣ / ٢٧٧).

[٤] الصارم المسلول (ص ٤٥). والقرطبي (١٢ / ١٣٩).

[٥] القرطبي (١٢ / ١٣٦)، عن ابن عربي في أحكام القرآن (٣ / ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦).

ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي ﷺ، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما في حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: « **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي..** ».[1]

فقوله: « **من يعذرني** » أي من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي. فثبت أنه ﷺ قد تأذى بذلك تأذياً استعذر منه.

وقال سعد رضي الله عنه وهو من المؤمنين الذين لم تأخذهم حمية: « يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك »[2]، ولم ينكر النبي ﷺ على سعد استئماره في ضرب أعناقهم.[3]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: « ومن يقذف الطيبة الطاهرة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة، لما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين. ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن أذاني في أهلي. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧ ـ ٥٨]. فأين أنصار دينه ليقولوا له: نحن نعذرك يا رسول الله ».[4]

كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله ﷺ من جانب آخر، حيث قال ﷻ: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [النور: ٢٦].

قال ابن كثير: « أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدراً، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور: ٢٦] أي عمّا يقوله أهل الإفك

---

[1] أخرجه البخاري (٤٧٥٠) في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: ١٢ ـ ١٣].

[2] المصدر السابق.

[3] الصارم المسلول (ص ٤٧).

[4] الرد عل الرافضة (٢٥ ـ ٢٦).

والعدوان ».[١]

حكم سبِّ بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

أكثر العلماء على كفر فاعل ذلك، لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها، لأنها زوجته ﷺ، فهي وغيرها منهن سواء.[٢]

وكذلك فيه تنقيصاً وأذى لرسول الله ﷺ بقذف حليلته.[٣]

وقد بيّنا ذلك عند كلامنا عن حكم قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

أما إن سبَّ أمهات المؤمنين سبّاً غير ذلك فحكمهن حكم سائر الصحابة على التفصيل السابق.

الفصل الثالث: لوازم سب الصحابة:

المبحث الأول: يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفراً يسيراً عدة أمور، منها:

أولاً: الشك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون ـ والعياذ بالله ـ ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسبُّ الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن، والبعض أخفى ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية، فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم، صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لا حجة فيها، ومع ذلك يزعم بعض هؤلاء الإيمان بالقرآن.

فنقول لهم: يلزم من الإيمان بالقرآن الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم... الخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما في القرآن، ناقض لدعواه.

ـ ثانياً: هذا القول يقتضي أن هذه الأمة ـ والعياذ بالله ـ شر أمة أخرجت للناس،

---

[١] ابن كثير (٣ / ٢٧٨).

[٢] البداية والنهاية (٨ / ٩٥).

[٣] الشفا (٢ / ١١١٣). وراجع أيضاً الصواعق المحرقة (ص ٣٨٧).

وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً وإنهم شر القرون.[١]

ـ ثالثاً: يلزم من هذا القول، أحد أمرين: إما **نسبة الجهل إلى الله** ـ تعالى عما يصفون ـ أو **العبث** في هذه النصوص التي أثنى فيها على الصحابة.

فإن كان الله ﷻ ـ تعالى عن قولهم ـ غير عالم بأنهم سيكفرون، ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل، والجهل عليه تعالى محال.

وإن كان الله ﷻ عالماً بأنهم سيكفرون، فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث، والعبث في حقه تعالى محال.[٢]

ويتبع ذلك الطعن في حكمته ﷻ، حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، فجاهدوا معه وآزروه ونصروه واتخذهم أصهاراً له، حيث زوج ابنتيه ذا النورين عثمان ﷺ، وتزوج ابنتي الصديق وعمر رضي الله عنهما، فكيف يختار لنبيه ﷺ أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون ؟!.

ـ رابعاً: يلزم من سبهم **أن الرسول ﷺ فشل في تربيتهم وتوجيههم**، فلقد بذل رسول الله ﷺ جهوداً كبيرة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، ليكونوا مجتمعاً مثالياً في خلقه وتضحياته وزهده وورعه، فكان ﷺ أعظم مربٍّ في التاريخ.

إن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام، تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة، تهدم الجهود التي قام بها النبي ﷺ في مجال التربية والتوجيه، وتزعم أنه أخفق إخفاقاً لم يواجهه أي مصلح أو مربٍّ آخر، كما كان الشأن مع رسول الله ﷺ. (صرح بعض من تولى كبر تلكم المزاعم والتهم والضلالات أن رسول الله ﷺ لم ينجح، وأن الذي ينجح في ذلك المهدي الغائب).

وبعضهم صرح أن الرسول ﷺ لم ينجح إلا في تربية ثلاثة أو أربعة فقط ـ وفقاً لبعض الروايات ـ فهؤلاء ظلوا متمسكين بالإسلام بعد وفاته ﷺ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام فور وفاته ﷺ.

وهذا الزعم يؤدي إلى **اليأس من إصلاح البشرية**، وعدم الثقة في المنهج الإسلامي

---

[١] الصارم (٥٨٧).

[٢] انظر إتحاف ذوي النجابة لمحمد بن العربي التباني (ص٧٥).

وقدرته على التربية وتهذيب الأخلاق، وإلى الشك في نبوة محمد ﷺ، وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عدداً معتبراً من نماذج عملية ناجحة بناءة، ومجتمعاً مثالياً في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي وقت طويل على عهد النبوة ؟!

وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة، ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبقَ على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه إلا أربعة فقط، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق ؟ وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء، ويرفعه إلى قمة الإنسانية ؟

وفي سبِّ الصحابة شك في نبوته ﷺ، فربما يقال: لو أن النبي ﷺ كان **صادقاً في نبوته**، لكانت تعاليمه ذات تأثير، ووجد هناك من آمن به من صميم القلب، ووجد من بين العدد الهائل ممن آمنوا به بضع المئات ثبتوا على الإيمان، فإن كان أصحابه سوى بضعة رجال منهم منافقين ومرتدين فمن ثبت على الإسلام ؟! ومن انتفع بالرسول ﷺ ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين ؟. [1]

المبحث الثاني: لوازم في حق السابِّ:

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة ﷺ وسبِّهم، وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم، وذلك لعلمهم بما يؤدي إليه ذلك السبُّ من لوازم باطلة تناقض أصول الدين، فقال بعضهم كلمات قليلة، لكنها جامعة:

ـ قال الإمام مالك رحمه الله عن الذين يسبُّون الصحابة: « إنما هؤلاء أقوام أرادوا **القدح في النبي** ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحون ». [2]

ـ وقال الإمام أحمد رحمه الله: « إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء

---

[1] انظر صورتان متضادتان للشيخ أبي الحسن الندوي (ص ١٣ ـ ٤٥ ـ ٥٨ ـ ٩٩).

[2] رسالة في سبِّ الصحابة، عن الصارم المسلول (ص٥٨٠).

فاتهمه على الإسلام ».[١]

ـ وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: « فإذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا **ليبطلوا الكتاب والسنة**، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ».[٢]

ـ وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله: « فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا **مفتون القلب في دينه** ».[٣]

وقال أيضاً: « لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين ».[٤]

وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة، وتأمل قول إمام أهل السنة: « يذكر أحداً من الصحابة بسوء »، وقول أبي زرعة: « ينتقص أحداً »، فحذروا ممَّن ينتقص مجرد انتقاص أو ذكر بسوء، وذلك دون الشتم أو التكفير، ثم في واحد منهم وليس جميعهم، فماذا يقال فيمن سبَّ أغلبهم ؟!.

المبحث الثالث: وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ:

قال ﷺ: « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** ».[٥]

فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال أبو نعيم رحمه الله: « فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين

---

[١] البداية والنهاية (٨ / ١٤٢).

[٢] الكفاية للخطيب البغدادي (٩٧).

[٣] الإمامة لأبي نعيم (٣٤٤).

[٤] الإمامة لأبي نعيم (٣٧٦).

[٥] أخرجه الطبراني في الكبير (٢ / ٧٨ / ٢). وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٠٨)، وقواه الألباني بطرقه وشواهده ـ السلسلة الصحيحة (١ / ٣٤).

المتبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال أيضاً: « لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم، وإنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الوجدة ».[١]

فالإمساك المشار إليه في الحديث إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى.[٢]

ونحن لم نؤمر بما سبق وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، وإذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذبِّ عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل.[٣]

وهذا مما نحتاجه في زماننا، حيث ابتليت الأمة في بعض جامعاتها ومدارسها بمناهج ـ يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية ـ تخوض فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي أمر بها الله ورسوله ﷺ ونصَّ عليها أهل العلم.

وإن مما يؤسف له أن هذه العدوى وصلت إلى بعض من يتصدرون للحديث في تاريخ الإسلام عبر القنوات وغيرها، حتى إن بعضهم يجمع الغثَّ والسمين من الروايات حول الفتنة التي وقعت بين الصحابة، ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم.

الخاتمة :

هذا ما يسر الله جمعه في هذه العجالة تعليماً للجاهل وتذكيراً للغافل بفضل الصحابة ﷺ، سيّما وأننا في زمن أطلّ فيه أهل البدع برؤوسهم وباحوا بما كانوا يكتمونه من سبّ أصحاب النبي ﷺ والطعن في بعض أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

---

[١] الإمامة (٣٤٧).

[٢] منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل (٢٢٧).

[٣] منهاج السنة (٦ / ٢٥٤).

وقد اغترَّ كثير من الناس بشبههم وضلالاتهم حتى إني سمعت يوماً في صحن الحرم المكي أحد الشباب يشتم عمر ﷺ فانتحيت به جانباً وسألته عن سبب سبِّه لعمر ﷺ، وتبين لي أنه تأثر بما يسمعه عبر الفضائيات من طعن وسبٍّ في أصحاب النبي ﷺ فالله المستعان وعليه التكلان.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يذبّ عن وجوهنا النار يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.